# الفصلُ الثّاني
## معارضةُ بعض كبّار الشخصيات الإسلامية (نماذج)

كان بعضٌ من الحكام وعلماء الدين، وكبار الشخصيات الإسلامية المشهورة، يعارضون حكم السّلطان عبد الحميد، مثل: الشريف (حسين) شريف مكة المكرمة، ومثْل والي مصر العثماني الخديوي (عباس حلمي). الحكام كانوا مدفوعين بفعل نقل الخلافة إلى العرب، والعلماء كانوا مدفوعين في هذه المعارضة بالحكم الفردي الذي زاوله السّلطان بعد تولّيه الحكم بقليل، وشارك العلماء في هذا بعضُ كبار المسلمين.

وغنيّ هنا عن البيان أنْ نقول: إنّ السّلطان عبد الحميد بدأ حكمه دستوريًّا، وكان موافقًا لآراء (مدحت باشا) وصحبه، لكنّ السّلطان ضاق فيما بعد بهيمنة رجال تركيا الفتاة، أو العثمانيّين الجدد، وتخلّص منهم وزاول سياسته الفردية في اتخاذ كلّ القرارات، وإشرافه بنفسه على كلّ صغيرة وكبيرة في الدولة.

**مِن الشخصيات المعارضة:**

**١ـ الخديوي عباس حلمي: من مصر:**

ويذكر السّلطان عبد الحميد في مذكراته أنّ الإنكليز يستخدمون والي مصر العثماني عباس حلمي باشا آلةً في أيديهم؛ لتهديد السّلطان بأنّهم سيحولون الخلافة عنه لينقلوها إلى العرب[١].

وكان الخديوي عباس حلمي باشا، يأمل في تحويل الخلافة الإسلامية من العثمانيّين إلى العرب، على أن يكون هو سلطانها. وكان مبعوثو الخديوي منتشرين في الأقطار العربية للدعوة إلى أملِ الخديوي.

لذلك قرّب الخديوي عباس حلمي باشا، الرجال المعارضين للسّلطان عبد الحميد، مثل الكواكبي صاحب طبائع الاستبداد٢.

وساعد الخديوي، أعضاءَ جمعية «تركيا الفتاة» أو الاتحاديّين المعارضين للسّلطان أثناء وجودهم في مصر بشكلٍ لا يصطدمُ به مع السّلطان مباشرة.

---

(١) المذكرات ص٦ من المقدمة.

(٢) محمد رشيد رضا، مختارات سياسية من مجلة المنار، تقديم ودراسة وجيه كوثراني١٠-١٥؛ ١٩٨؛ ١٣٤-١٣٦ على التوالي، نقلًا عن الغامدي،٢٦٠-٢٦١-٢٦٣-٢٦٤-٢٦٦ على التوالي.

ومِن الشخصيات الإسلامية الكبيرة المعارضة لسياسة السّلطان عبد الحميد، ويأخذون عليه حكمه الفردي كلٌّ من السيد (جمال الدين الأفغاني) وتلميذه الشامي السيد (محمد رشيد رضا) وتلميذه التركي (محمد عاكف).

***

**٢- السيد محمد رشيد رضا: من الشام:**

جاء تأثرُ السيد محمد رشيد رضا بأفكار الأفغاني عن طريق اهتمام رشيد رضا بقراءة مقالاته في مجلة «العروة الوثقى» التي كان يصدرها الأفغاني وتلميذه المصري الشيخ محمد عبده.

ويقول رشيد رضا في تأثير العروة الوثقى عنه بقوله: «وأكبرُ أثرها عندي أنها هي التي وجّهت نفسي للسعي في الإصلاح الإسلامي العام».

وبعد أن اخْتلفَ الأفغاني مع محمد عبده، واتّخذ محمد عبده طريقه الخاص في الإصلاح الذي يعتمد على العمل التربوي، وجدنا أنّ رشيد رضا هاجر (١٨٩٨م) مِن بيروت إلى مصر: واحتجاجًا على التدابير التي لجأ إليها السّلطان عبد الحميد، وعلى استحالة التعبير عن الآراء

والأفكار التي بدأ محمد رشيد رضا يتشبّع بها من خلال صفحات العروة الوثقى، وأخذ في ملازمة أستاذه محمد عبده والاستفادة منه»[1].

وأصدر رشيد رضا جريدة «المنار» و»كانت ممنوعة من دخول البلاد العربية الخاضعة بصورةٍ مباشرة للسّلطان عبد الحميد».

وكان للسيد محمد رشيد رضا موقفٌ من الطريقتين القادرية والرفاعية، ونقَدَهما من كتابه «الحكمة الشرعية في محاكمة القادرية والرفاعية» و»الذي تصدّى فيه للممارسات الغيبية والسحرية التي أُدخلت على طرق الصوفية. ومن هنا نشأ بينه وبين الشيخ (أبي الهدى الصيادي) مشاحنات. وكان الصيادي قريبًا من السّلطان عبد الحميد»

بدأ السيد محمد رشيد رضا «في الانخراط في ميدان السياسة» بعد وفاة أستاذه الشيخ (محمد عبده) عام ١٩٠٥م.

وأخذ السيد محمد رشيد رضا بعد ذلك يدعو إلى إصلاح الدولة العثمانية، ومحاربة الاستبداد الفردي، والدعوة إلى الحكم الدستوري.

وعندما استطاع الثوّار العثمانيون من الاتحاديّين أن يضخموا حركتهم خارج البلاد العثمانية، ويكثفوا نشاطهم المُطَالِب بإقصاء السّلطان عبد الحميد من على العرش وإعلان الدستور، اتصلوا بالشخصيات المعارضة

(١) المصدر السابق.

لحكم السّلطان في الخارج. وفي هذا السبيل تأسست في القاهرة لجنة أطلق عليها اسم «جمعية الشورى العثمانيّة» تولّى رئاستها السيد محمد رشيد رضا. وقد كان لهذا أثره في تحويل وجهة «المنارة» إذْ بدأ محمد رشيد رضا منذ ذلك الحين في كتابة مقالات عن الاستبداد والسياسة الحميدية، وحكم الشورى، وطرق إصلاح الدولة العثمانية[1].

وكان رشيد رضا يرى ضرورةَ وجود دولة عربية منفصلة عن دولة الخلافة العثمانية، فيقول: «إنما مصلحة العرب السياسية أنْ يكون لهم دولة مستقلة»[2].

***

وفي الوقت الذي رأى فيه السيد محمد رشيد رضا ضرورة مهاجمة حكم السّلطان عبد الحميد الفردي؛ يمتدح محمد رشيد رضا جمعية «تركيا الفتاة» الذين أسّسوا جمعية الاتحاد والترقي.

وقام السيد محمد رشيد رضا رئيس جمعية الشورى المناوئة لحكم السّلطان عبد الحميد، بإدخال رجال الاتحاد والترقي الذين كانوا في مصر، في اللجنة المركزية لهذه الجمعية التي يرأسها.

---

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق.

وأقام السيد محمد رشيد رضا من نفسه، مدافعًا عن الخديوي (عباس حلمي) باشا، ونفى عن الخديوي التُّهم التي نُسبت إليه من اتفاقه مع الإنكليز. وقال: إنّ هذه التّهم إنما هي من فعل رجال السّلطان عبد الحميد[1].

***

ويمتدح السيد محمد رشيد رضا «الزيدية في اليمن»؛ لأنهم لم يخضعوا لسلطان العثمانيّين، ولأنهم قاتلوا العثمانيّين حتى أعجزوهم، مما اضطر هؤلاء إلى عقد الصلح مع إمام اليمن يحي، وأقرّوه على إمامته في قومه ووطنه[2].

وفي خطبة للسيد محمد رشيد رضا في حديقة الأزبكية بالقاهرة، ابتهاجًا بانتصار جمعية الاتحاد والترقي على السّلطان عبد الحميد، وإجباره على إعادة العمل بالدستور، وافتتاح مجلس المبعوثان، وسيطرة الاتحاديين على الدولة، وعزلهم للسّلطان، يقول رشيد رضا في هذا: «إنّ جمعية الاتحاد والترقي ظلت تسعى وتدأب وتصارع الصعوبات، حتى أتيح لها الظفر الآن، ونالت ما تتمناه».

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق.

**٣- محمد عاكف: من الأناضول:**

هو شاعر الإسلام عند المتحدثين باللغة التركية، ومن دعاة الجامعة الإسلامية، وتأثر في التزامه بالجامعة الإسلامية بثلاثة أشخاص، وهُم: جمال الدين الأفغاني، ومحمد عبده، وعبد الرشيد إبراهيم. وكان من رأي محمد عاكف أنّ سبب ضعف المسلمين راجعٌ إلى بعدهم عن الإسلام، وفهم المسلمين للإسلام فهمًا خاطئًا. وكان محمد عاكف يرى وجوبَ اتخاذ القرآن الكريم المصدر الأصلي للحركة في المجتمع. ويدعو إلى ترك البدع والخرافات، ويدعو إلى إعادة فهم الإسلام على أنه نظامٌ حياتي ينظّم حياة المجتمع، وأنّ القرآن لم يُنزل ليقرأ على القبور، ولا ليستخرج من الفأل. يقول محمد عاكف: «يجب استلهام القرآن مباشرة، ويجب أن نجعل إدراك العصر يقول بالإسلام». ويقول بضرورة معاداة الفكرة القومية، ويقول في هذا: «إن كابوس الغرب الدامي قد تسلّط علينا، وغشَّى أبصارنا، وعطّل فكرنا الإسلامي». ومن رأي عاكف، ضرورة أنْ يبصق المسلمون «على وجه الصليبيّين، وعلى كلماتهم الخائنة، وعلى ضمير العصر المقنّع». والحذر دومًا من الرّوس. ويركز دائمًا على أنّ المسلمين لا بدّ أن يأملوا في يومهم وفي غدهم خيرًا: «ما دام وعدُ الله لنا هو الحقّ؛ فإنّ فجرنا الأزلي سيشرق».

أمّا في وحدة عناصر البلاد الإسلامية، فيقول في معرض من معارض حديثه عن الجامعة الإسلامية: «إنّ التركي لا يستطيع الحياةَ دونَ العربي. والتركي بالنسبة للعربي عينه اليمنى، وساعده الأيمن. ولا بدّ للمسلمين أن يتّحدوا لأنّ الإسلام دين الوحدة»[1].

***

كان محمد عاكف مثالًا ـ بشهادة معاصريه ـ للتقوى والورع والصلاح، مخلصًا للإسلام، يعيشه في حياته الخاصة، ويعيشه في حياته العامة. عاش من أجل الإسلام، ومات من أجل الإسلام. ولقّبه قومه بلقب «شاعر الإسلام».

إلّا أنّ محمد عاكف قد اختلفَ في نظرته إلى السّلطان عبد الحميد عن نظرة كثيرٍ من المفكرين والأدباء والعلماء المسلمين المعاصرين له، فقد كان محمد عاكف يؤمن بالديموقراطية، ويرى أن السّلطان عبد الحميد جمعَ في يده كلّ شئون الدولة. لذلك خالف محمد عاكف سلطانَه في سياسته في الحكم، وإنْ لم يخالفه في الجامعة الإسلامية.

***

(١) محمد حرب، المرجع السابق، ص ٢٨٤.

وانضمّ محمد عاكف ــ عن حُسن نيّة ــ إلى جمعية الاتحاد والترقي، بعد أن خدعه هؤلاء بأن مقصدَهم تحرير الدولة العثمانية من الاستبداد، وإقامة حكومة دستورية تجمع المسلمين في بوتقةٍ واحدة، فوافقهم واتّفق معهم وساعدهم وخطب لهم. واستغلّته حكومة الاتحاد والترقي فقد أرسلته المخابرات في مهمّة لمقابلة عبد العزيز آل سعود، ولم يرغب هذا في مقابلته[1].

ولكنْ لهذا السّفر دلالة، وهي أنّ جمعية الاتحاد والترقي كانت تشعر بما لمحمد عاكف من سمعة طيبة في العالم الإسلامي عامة، والبلاد العربية خاصة.

***

(١) جمال قرطاي، محمد عاكف في صحراء نجد.